

وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل شهراً كاملاً، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

ثم يقول رحمه الله -: وإن الإنسان ليقف متملماً أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول ﷺ، وأمام كل تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجة المقربة، وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة، تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرغبة الشديدة.

ويا لله لها وهي تفاجأ بالنبأ من أم مسطح وهي مهدودة من المرض فتعاودها الحمى، وهي تقول لأُمها في أسى: «سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟» وفي رواية أخرى تسأل: «وقد علم بي أبي؟»، فتجيب أمها: نعم، فتقول: «ورسول الله ﷺ؟» فتجيبها أمها كذلك: نعم.

ويا لها ورسول الله ﷺ - نبيها الذي تؤمن به ورجلها الذي تحبه - يقول لها: «أما بعد، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى، وإن كنت أملت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، فتعلم أنه شاك فيها لا يستبقن من طهارتها ولا يقضي في تهمتها وربها لم يخبره بعد، ولم يكشف له عن براءتها التي تعلمها ولكن لا تملك إثباتها، فتمسي وتصبح وهي متهمة في ذلك القلب الكبير الذي أحبها وأحلها في سويدائه.

وها هو ذا أبو بكر الصديق - في وقاره وحساسيته وطيب نفسه - يلذعه الألم وهو يُرمى في عرضه، في ابنته زوج محمد، صاحبه الذي يحبه ويطمئن إليه، ونبيه الذي يؤمن به ويصدق تصديق القلب المتصل، لا يطلب دليلاً من خارجه، وإذا الألم يفيض على لسانه وهو الصابر المحتسب القوي على الألم فيقول: «والله ما رأينا بهذا في جاهلية، أفنرمى به في الإسلام؟».